

## الأبعاد الاقتصادية للمشاريع السياسية الغربية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا (1993-2004)

د. محمد عبد القادر محمد خير\*

### مقدمة

في سياق التطورات التي شهدتها تفاعل العلاقات الدولية على الصعيدين السياسي والاقتصادي ، خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين ، وتحت تأثير عدد من المتغيرات المتشابكة والمعقدة التي ألقت تأثيراتها البالغة على مناطق عديدة من العالم من أهمها منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ، بحكم كونها مصدرا لأهم القضايا التي على خلفيتها برزت تلك التطورات وأثرت بشكل عميق على منظومة الأنساق والعلاقات التي تجري في إطارها و على أساسها جملة التفاعلات في الساحة الدولية ، بالدرجة التي عمقت من سيطرة قوى دولية بعينها على مسار تلك التفاعلات بما يخدم ، وبشكل سافر وغير عادل ، مصالحها وأهدافها على حساب مصالح دول وشعوب العالم الأخرى ، فإن تدابير عديدة غير عسكرية ، اتخذتها تلك القوى إحصاها لسيطرتها على العالم وحفاظاً على مصالحها في المناطق الحيوية منه . ففي منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بلغت تلك التدابير حد طرح وتبني مشروعات سياسية إقليمية تهدف إلى تفكيك و إعادة تركيب المنطقة ودمج بعض دولها في مناطق أخرى وفقاً للرؤية التي تمثل مصالح الغرب ( بمركزيه الممثلين في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا ) وحلفائه في المنطقة ( إسرائيل على وجه التحديد ) (1) .

إن مشروع الشرق الأوسط الجديد الذي طرحته إسرائيل في العام 1993م وتبنته بقوة الولايات المتحدة الأمريكية وعملت على تشجيع إنزاله على مستوى الواقع ، ثم عملت فيما بعد على تطوير فكرته وتوسيعها ، من خلال ما يعرف بمشروع الشرق الأوسط الكبير الذي طرحته في العام 2004 ، يمثل أحد أهم تلك المشروعات بجانب ما طرحته أوروبا من

\* كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية والسياسية جامعة إفريقيا العالمية

مشروع يعرف بمشروع الشراكة الأوروبية/ العربية الساعي إلى ربط دول جنوب وشرق البحر الأبيض المتوسط ربطاً عضوياً وثيقاً بدول جنوب أوروبا، باعتبار أن دول المجموعتين جميعها تقع ضمن فضاء حوض المتوسط.

و على الرغم من أن كلا من المشروعين يمثل في الواقع جزءاً أصيلاً في الاستراتيجية السياسية لكل من أمريكا وأوروبا في المنطقة ، ويسعى بالدرجة الأساس إلى تحقيق أهداف ومغاز سياسية<sup>(2)</sup> إلا أنهما يتضمنان أبعاداً اقتصادية هي الأكثر بروزاً من بين الأبعاد الأخرى ، الأمر الذي يشير بوضوح إلى أن التعويل الأساسي في إنفاذ كلا المشروعين إنما هو على العنصر الاقتصادي . وهذا هو ما تقتضيه هذه الورقة البحثية وتهدف إلى تأكيده وإبرازه.

لأغراض تعطية الجوانب المختلفة لموضوعها فإن الورقة ستتناول محورين رئيسيين ، يتناول الأول منهما مشروع السوق الشرق أوسطية المشتركة باعتباره يمثل جوهر فكرة المشروع الذي تتبناه الولايات المتحدة الأمريكية ومحورها الذي تركز عليه، بينما يتناول المحور الثاني مشروع الشراكة المتوسطية الذي يمثل المشروع الأوربي مقابل المشروع الأمريكي تجاه منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. وسنحاول، تحقيقاً لأهداف الورقة ، أن نبرز في كل محور الملامح والأبعاد الاقتصادية للمشروع المعني ورصد بعض الجهود التي بذلت لجعله واقعا معيشياً، وما أعتري تلك الجهود من عقبات حالت دون ذلك.

### 1- مشروع السوق الشرق أوسطية المشتركة

يعبر هذا المشروع عن رؤية الولايات المتحدة الأمريكية تجاه حل قضايا الشرق الأوسط التي تمثل منطقة مصالحي اقتصادية حيوية بالنسبة لها . وتعتمد الرؤية الاستراتيجية الأمريكية في هذا الشأن على (سيناريوهات) التفكيك وإعادة التركيب<sup>(3)</sup> ، وهي مخططات تنطوي على فكرة إقامة منظومات ومناطق للتعاون الاقتصادي والأمني تضم دولاً عربية وأخرى غير عربية . وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى أن مفهوم الشرق الأوسط وفقاً للاستراتيجية الأمريكية يعني المنطقة التي تشمل دول المشرق العربي وتركيا وإيران وجمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية الست التي كانت ضمن جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق.<sup>(4)</sup> وعلى الرغم من اتساع هذا المفهوم إلا أن مشروع السوق الشرق

أوسطية لم يشمل دولاً مثل العراق وإيران ، وذلك تلساقا مع أهداف الاستراتيجية الأمريكية الرامية إلى خلق نوع من التوازن الإقليمي الذي يمنع انفراد أي من القوى الإقليمية في المنطقة، مثل إيران والعراق وتركيا ، من السيطرة عليها. مع إتاحة الفرصة لإسرائيل للقيام بدور مركزي في المنطقة يمكنها من قيادتها والسيطرة عليها ، بما يحقق مصالحها ومصالح الولايات المتحدة الأمريكية.

لقد ظهرت فكرة هذا المشروع في ظل تداعيات الظروف السياسية التي تضمنت جهوداً لتسوية قضية الصراع العربي / الإسرائيلي . واشتملت على أبعاد اقتصادية هي الأكثر وضوحاً ، حيث إنها صبغت بصبغتها ملامح المشروع فبدأ وكأنه مشروع اقتصادي أكثر من كونه مشروعاً سياسياً يحمل في طياته أهدافاً سياسية استراتيجية كبرى عجزت الآلة العسكرية الأمريكية والإسرائيلية عن تحقيقها وفرضها في المنطقة .

شهد المشروع جهوداً عملية فيما يتعلق بوضع التصورات الخاصة به وبناتجها المتوقعة من قبل بعض المراكز العلمية والمالية ، فضلاً عن الجهود العملية التي بذلت في سبيل تحويل تلك التصورات إلى واقع معيش من خلال المؤتمرات العديدة التي عقدت خصوصاً لهذا الأمر . في هذا المحور سنحاول الوقوف على هذا المشروع من خلال تلمس التداعيات السياسية التي دفعت إلى طرحه مع إبراز الأبعاد الاقتصادية فيه ، وما بذل من جهد في سبيل إنفاذه، والصعوبات التي برزت كعقبات أمامها .

### 1-1 جذور فكرة المشروع وتداعياتها :

لما كان الصراع العربي / الإسرائيلي هو القضية المركزية من بين القضايا العديدة التي تتغذى عليها الأزمات المعقدة والمزمنة في منطقة الشرق الأوسط. ولما كان استمرار ذلك الصراع يعني استمرار الحصار والعزلة التي تعاني منها إسرائيل في محيطها الإقليمي المكون من جيرانها العرب ، فقد رسخ في التفكير الاستراتيجي الإسرائيلي أن إنهاء ذلك الحصار وكسر تلك العزلة لن يتم بالقوة العسكرية ، ولن تنعم إسرائيل بالأمن والاطمئنان في ظل استمرار حالة الصراع تلك ، ومهما بلغت قدراتها العسكرية من قوة فإنها لن تتمكن من فرض سلام حقيقي ودائم تتحقق من خلاله حالة الأمن والاستقرار الكامل التي تنشدها . ولهذا فإن البحث عن السلام المنشود من خلال التحول من علاقات الصراع

إلى علاقات التعاون في المحيط الإقليمي لدولة إسرائيل ظل فكرة حاضرة في التفكير الاستراتيجي الإسرائيلي منذ بواكير ظهور المشروع الاستيطاني في فلسطين وذلك من خلال مشروع الدولة الإقليمية الكبرى الهادفة إلى المزاجفة بين العقلية اليهودية والثروات العربية ، والقائمة على فدرالية تضم فلسطين بعربها ويهودها وشرق الأردن . على أن تكون تلك الدولة الفدرالية اتحادا كونفدراليا مع بقية الدول العربية الأخرى في المنطقة في مرحلة لاحقة . وقد ظلت هذه الفكرة قائمة عند قادة ومفكري الدولة اليهودية بعد ذلك عبر الحقب المختلفة لتطور دولتهم ، منذ أن كانت مشروعا ، وبعد قيامها في سنة 1948 على حساب دولة فلسطين العربية ، ثم دخولها في صراع مع العرب شهد عددا من الحروب الكبيرة والصغيرة التي كسبت بعضها وخسرت البعض الآخر منها . وفي هذا الصدد تشير بعض الكتابات الحديثة ، حول السوق الشرق أوسطية، إلى عدد من المشروعات التي ظل يطرحها القادة والمفكرون الإسرائيليون تهدف إلى انفتاح دولة إسرائيل على محيطها العربي اقتصاديا ، وذلك منذ عشرينيات القرن العشرين وحتى ما بعد قيام الدولة اليهودية ، مرورا بفترتي مابعد حربي عام 1967 وعام 1973 وانتهاء بتسعينيات القرن العشرين الذي طرح فيه شيمون بيرز مشروعه حول الشرق الأوسط الجديد<sup>(5)</sup> وتعكس كل تلك المشروعات وما أنطوت عليها من أفكار مدى إيمان أولئك القادة والمفكرين بأهمية أن تعمل إسرائيل على كسر الحصار والعزلة المضروبة حولها من قبل جيرانها العرب باستخدام العامل الاقتصادي . وتؤكد في نفس الوقت مدى رسوخ فكرة التعاون الاقتصادي الإقليمي الشرق أوسطي كضمانة حقيقية لسلام دائم بالنسبة لدولة إسرائيل في الفكر الاستراتيجي الإسرائيلي ويؤكد هذا ما ظل يريده بعض أولئك القادة بعد قيام دولتهم ، فقد ظل ناحوم جولدمان رئيس الوكالة اليهودية الأسبق يحذر من أن تظل إسرائيل ، وهي قائمة وسط محيط عربي محصن ، معتمدة على القوة وحدها، وأن لا وجود لإسرائيل في المدى الطويل إلا بارتباطها بالمنطقة من خلال إقامة جسور للتعاون مع العرب لتضمن الخروج من حالة الحصار إلى حالة الامتداد والانتشار والاندماج في نظام إقليمي ترسي دعائمه على التعاون الاقتصادي .<sup>(6)</sup> كما أن أبا أيان الذي كان وزيرا لخارجية إسرائيل في النصف الأول من سبعينيات القرن العشرين ، أعلن في مؤتمر جنيف عام 1974م أن الضمان الحقيقي للسلام هو

إقامة مصالح مشتركة بين العرب وإسرائيل بحيث يكون لها سمات التنوع والكثافة<sup>(7)</sup> وفي ذلك كله إشارة واضحة إلى أهمية التعاون الاقتصادي مع العرب بالنسبة لإسرائيل ، ليس فقط من الناحية الاقتصادية وإنما من الناحية السياسية بدرجة أكبر ، فالتوسع والتمدد اقتصاديا في النطاق الإقليمي أجدى لإسرائيل من وجهة نظر هؤلاء من التوسع والتمدد عسكريا .

إذاً نلاحظ بوضوح جذور راسخة لفكرة التعاون الاقتصادي الإقليمي الشرق أوسطي في استراتيجيات إسرائيل كحل لقضيتها المحورية المتمثلة في وجودها وبقائها في وسط هي بمثابة الجسم الغريب فيه . ولهذا ظلت ممسكة بهذه الفكرة وساعية إلى إنفاذها بشتى السبل ، وستظل على هذا النهج طالما بقيت ، لأن نجاحها في ذلك يعني تحقيق أهدافها الاستراتيجية في العيش بسلام في وسط ظل يرفضها على الدوام، ولطالما حلمت بذلك وما فتئت تفعل . ويتأكد هذا القول من خلال التداعيات التي ظلت تشهدها فكرة المشروع منذ مابعد هزيمة إسرائيل للعرب عام 1967م ، حيث أخذ فكيرا أكثر من القادة والمفكرين الإسرائيليين يتجه نحو البحث في سبل إقامة وتنمية علاقات تجارية بين إسرائيل وجيرانها العرب بما يخدم الاقتصاد الإسرائيلي ويجعله اقتصادا مركزيا في المنطقة ، وحتى ظهور كتاب شيمون بيرز ( رئيس وزراء إسرائيل الأسبق ) الموسوم بالشرق الأوسط الجديد عام 1993م ، الذي أعاد فيه بلورة أفكاره حول فكرة الشرق أوسطية التي كان قد طرحها في مقال له سابق نشر عام 1967 في إحدى المجلات الفرنسية. ويتتبع تلك التداعيات نجدها بدأت بكتيب أصدره التجمع من أجل السلام في عام 1968 بعنوان الشرق الأوسط عام 2000 ، اشتمل على تصور لتعاون اقتصادي إقليمي بين دول منطقة الشرق الأوسط ، بحيث يتم التخصص وتقسيم العمل بينها وفقا للقطاعات الاقتصادية المختلفة ، فإسرائيل تتخصص في الصناعات الدقيقة والآلات الهندسية والكهربائية والكمبيوتر وصناعة الدواء ، بينما تتخصص مصر في الصناعات الحديدية والمعدنية وصناعة السيارات ، فيما تركز سوريا على صناعة النسيج وبعض الصناعات الاستهلاكية ، في الوقت الذي تعمل فيه لبنان في مجال الخدمات والنقل والمصارف ، ويتترك للعراق ودول الخليج العربية مهمة الصناعات البتروكيميائية<sup>(8)</sup>.

في السياق نفسه هناك تلميحات أخرى ذات صلة بفكرة المشروع نجدها في الاقتراح الذي تقدم به وزير المواصلات الإسرائيلي عام 1975م والذي تضمن مشروعاً تفصيلياً لتطوير نظم الاتصال في الشرق الأوسط لربط المشرق العربي بالمغرب العربي، على أن تكون إسرائيل مركزه الرئيسي ، وذلك عبر شبكة من المطارات والموانئ والسكك الحديدية . وقد عدل هذا الاقتراح فيما بعد ليتضمن مطلباً بإقامة سوق شرق أوسطية تبدأ بإنشاء هيئة مشتركة لتطوير كل من الزراعة ومصادر الطاقة والمياه والسياحة والمجالات العلمية المختلفة<sup>(9)</sup> . وفي تطور لاحق لتداعيات المشروع وتطوراً لفكرة السوق الشرق أوسطية المشتركة التي تطرحها إسرائيل ، فإن الدراسة التي أعدها عدد من الأكاديميين الإسرائيليين عام 1989 بتمويل من صندوق ارماندهامر لأبحاث السلام بجامعة تل أبيب ، بعنوان " التعاون الاقتصادي وسلام الشرق الأوسط"<sup>(10)</sup> . وضعت تصوراً متكاملًا لإمكانية إقامة شكل من أشكال التعاون الاقتصادي بين إسرائيل وبعض الدول العربية وفقاً لصيغة معينة يمكن أن تعتبر في حال نجاحها ، خطوة نحو تكامل اقتصادي إقليمي أكبر . وقد اشتملت تلك الدراسة على التوقعات المحتملة للعلاقات الاقتصادية بين دول الشرق الأوسط مع عرض للمشروعات التي يمكن التركيز عليها وعلى رأسها مشروعات البنية الأساسية ، خاصة مشروعات المياه والطاقة ، بجانب تناولها لمجالات التعاون المشترك الأخرى كالتجارة والسياحة .

في تسعينيات القرن العشرين أخذت تداعيات مشروع السوق الشرق أوسطية منحاً عملياً من خلال طرح إسرائيل لمقترحات حول المشاريع التي يمكن إنفاذها في إطار التعاون الاقتصادي الإقليمي بينها وبين بعض الدول العربية ، فعقب مؤتمر مدريد للسلام عام 1991م ، وفيما تلاه من مفاوضات سلام ثنائية ومتعددة الأطراف في موسكو عام 1992 وفي أوسلو عام 1993م اقترحت إسرائيل على العرب مشاريع متنوعة للتعاون في مختلف المجالات الاقتصادية مثل فتح أنابيب البترول إلى حيفا وإنشاء محطات مشتركة لتوليد الكهرباء والطاقة وإنشاء منطقة تجارة حرة والبدء في تعاون إقليمي في مجال الزراعة والمياه والسياحة ، وقد تضمنت المقترحات الإسرائيلية المقدمة للجنة التعاون الاقتصادي في إطار المحادثات متعددة الأطراف تنفيذ مشروعات التطوير بالمناطق الجافة وشبه

الجافة ، وإِشاء وحدة طاقة شمسية ضخمة ، واستخدام الطاقة المولدة منها أو الغاز في برامج تحلية المياه ، وتشجيع الاستثمار السياحي وإقامة مناطق سياحية ، وتجديد خط السكك الحديدية الذي يربط بين إسرائيل ومصر وسوريا ولبنان .<sup>(11)</sup>

في ظل هذه التداعيات المتتالية طرح شيمون بيريز أفكاره وتصوراته المتكاملة حول ما يسمى باقتصاد السلام القائم على التعاون المفضي إلى التكامل الإقليمي ، الذي يضمن لإسرائيل وجوداً وبقاءً آمناً ودوراً مركزياً ومسيطرًا في المنطقة . وذلك من خلال كتابه " الشرق الأوسط الجديد الذي صدر عام 1993م ، وتدور الفكرة المحورية لمشروع بيريز حول ضرورة إقامة نظام إقليمي شرق أوسطي على غرار ما حدث في أوربا من خلال قيام الجماعة الأوروبية ، باعتبار أن التنظيم الإقليمي هو المدخل الحقيقي للوصول إلى منطقة تنعم بالسلام والأمن . فقد أكد بيريز في كتابه هذا أن بناء سوق اقليمية مشتركة من شأنه أن يضمن عملية السلام أكثر من تقليص عدد الصواريخ .<sup>(12)</sup> فالاقتصاد والمصالح المشتركة هي التي تقود لسلام دائم وليست السياسة والقدرة العسكرية .

وبالنظر إلى التصورات التي تضمنها كتاب شيمون بيريز حول مشروع السوق الشرق أوسطية نلاحظ أنها تذهب في نفس اتجاه التصورات التي سبقتها في هذا الشأن من حيث ربط السلام والاستقرار في الشرق الأوسط بمشروعات التعاون الإقليمي الهادفة إلى تحقيق المصالح المشتركة ، ومن حيث المجالات الاقتصادية التي يمكن البدء بها ، والتي تعددت وتنوعت بين المجالات الإنتاجية والخدمية وإن كان ثمة ما يميز تصورات شيمون بيريز لمشروع السوق الشرق أوسطية عن التصورات الأخرى فهو أنها تضمنت شرحاً للكيفية التي يمكن أن يتحول بها اقتصاد الشرق الأوسط من اقتصاد قائم على الصراع إلى اقتصاد قائم على التعاون والتكامل ، فضلاً عن أنها وسعت النطاق الجغرافي للسوق ليشمل ، بجانب إسرائيل والدول العربية ، دولة تركيا ، حيث اقتصرَت التصورات الأخرى ذلك النطاق على إسرائيل وبعض الدول العربية الغربية منها مثل مصر والأردن وسوريا ولبنان والأراضي غير المحتلة من فلسطين . فتصورات بيريز تطمح إلى إقامة سوق شرق أوسطية مشتركة أساسها التكامل بين التكنولوجيا الإسرائيلية والأموال العربية والمياه التركية<sup>(13)</sup> فهو يرى أن مجموعة الموارد المتمثلة في نفط السعودية والمياه التركية والسوق

المصرية والتكنولوجيا الإسرائيلية هي في الحقيقة موارد إقليمية أكثر من كونها وطنية . كذلك يرى أن السياحة هي أحد أهم الموارد الاقتصادية التي تتمتع بها المنطقة ، ولما لم تكن قد حققت قدراتها الكامنة بعد ، فإنها يمكن أن تكون مجالاً واعداً تبدأ به عمليات التعاون المشترك بين دول المنطقة حتى قبل البدء بإقامة إطار إقليمي رسمي<sup>(14)</sup>.

بناء على ما تقدم يمكننا القول بأن الأفكار والتصورات التي تضمنها مشروع شيمون بيريز حول بناء شرق أوسط جديد ، مع ما سبقها من أفكار وتصورات طرحها قادة ومفكرون اسرائيليون ، قد ساهمت بشكل كبير في بلورة مادرج على تسميته ، بنظرية السلام الاقتصادي . وقد استفاد بيريز ، كما يؤكد هو بنفسه ، من التجربة الأوربية في بلورة أفكاره وتصوراته حول إمكانية بناء نظام إقليمي شرق أوسطي أساسه التعاون الاقتصادي<sup>(15)</sup>. ويتأكد لنا ذلك بصورة أكثر وضوحاً بالنظر إلى تلك الأفكار والتصورات مقروءة على ضوء تجربة أوربا في التعاون والتكامل والاتحاد ، مع ما هنالك من اختلاف جوهري بين طبيعة الصراع الذي كان سائداً بين دول أوربا في القرن الماضي وما قبله وطبيعة الصراع القائم بين إسرائيل والدول العربية . فقبل قيام الجماعة الأوربية التي تطورت إلى الاتحاد الأوربي ، كانت تفاعلات الدول الأوربية فيما بينها تقوم على التصارع والاحتراب ، فقد ظلت أوربا على مدى قرون عديدة تعاني من الصراعات والحروب بين دولها ، حتى خارج أوربا فيما يعرف بالصراع حول المستعمرات بحثاً عن الموارد الاقتصادية وتوسيعاً لنطاق الأسواق أمام منتجات تلك الدول . وقد أدت تلك الصراعات إلى أن يشهد العالم خلال النصف الأول من القرن العشرين حربين كونيتين كانت أوربا القارة ومختلف دولها أكبر الخاسرين فيهما بسبب الدمار الذي لحق بقواها العسكرية والاقتصادية . غير أن أوربا وعت الدرس جيداً وبدأت التحول بشكل جدي نحو بناء علاقات التعاون بدلاً عن علاقات الصراع منذ عام 1948 كخطوة أساسية في اتجاه تحقيق وحدتها السياسية . وقد نجحت في ذلك عبر مراحل عديدة انتهت بها إلى أوربا موحدة في فترة لم تتجاوز الخمسين عاماً ، حيث صارت التجربة الأوربية نموذجاً عالمياً للتعاون والتكامل والإندماج<sup>(16)</sup>. ولعل هذا ما حدا بشيمون بيريز إلى الاهتمام بها عند طرح مشروعه حول الشرق الأوسط الجديد القائم على التعاون والتكامل الاقتصادي الذي تبدأ



خطواتها الجديدة بإنشاء السوق الشرق أوسطية المشتركة على غرار السوق الأوروبية المشتركة ، وهي الخطوة التي اعتبرها بيرييز أحد أهم الركائز الأساسية التي يقوم عليها النظام الإقليمي الشرق أوسطي<sup>(17)</sup>.

## 1-2 - علاقات الولايات المتحدة الأمريكية بالمشروع الاقتصادي الشرق أوسطي:

أشرنا في مقدمة هذه الورقة إلى أن مشروع السوق الشرق أوسطية المشتركة يمثل جزءاً أصيلاً في الرؤية الأمريكية لحل قضية الشرق الأوسط من خلال جهودها في التحضير له وتبني الأفكار والتصورات التي طرحتها إسرائيل بشأنه وقيامها بدعم المساعي والجهود العملية الخاصة بتحقيقه . فقد أخذ الاهتمام الأمريكي بالمنطقة وشؤونها يتضاعف بعد حرب أكتوبر 1973 ، حيث شهدت تلك الفترة الزيارات المتكررة والكثيفة لوزير خارجيتها آنذاك هنري كيسنجر لمنطقة الشرق الأوسط ، والذي عمل من خلال تلك الزيارات ، ضمن ما قام به ، على تهيئة الأجواء لقبول فكرة قيام نظام إقليمي شرق أوسطي . وفي هذا السياق كلفت وكالة التنمية الدولية الأمريكية عدداً من المؤسسات والوكالات العلمية الحكومية والخاصة ، ذات الاهتمامات المختلفة بإجراء دراسات وأبحاث تحدد بدقة إمكانات ومجالات التعاون الاقتصادي بين دول الشرق الأوسط . وقد صدر تقرير عن تلك المؤسسات والوكالات قبل توقيع اتفاقية كامب ديفيد في عام 1978م تمت مناقشته وإقراره فيما بعد بواسطة الكونجرس واحتوى ذلك التقرير تسعة فصول أكد من خلالها على أهمية قيام كيان إقليمي يضم دول المشرق العربي وإسرائيل وإيران (الشاه) وتركيا ، يهدف إلى الدخول في مجال واسع من التعاون الاقتصادي الإقليمي يمر بمراحل زمنية ثلاث (قصيرة ومتوسطة وطويلة الأجل) تبدأ بالتعاون في المجالات العلمية والتكنولوجية ومجالات الطرق والاتصال والسياحة وبدائل الطاقة كمرحلة أولى ، ثم في المرحلة الثانية إلى التعاون في مجال تطوير مصادر المياه ، وتنتهي في المرحلة الثالثة بحل مشكلات البنية الأساسية المتعارضة والانتقال إلى تنمية البيئة الاقتصادية وفتح الأسواق المحلية أمام منتجات الدول المتعاونة<sup>(18)</sup>.

في سياق متصل ، اهتم معهد الشرق الأوسط التابع لجامعة هارفارد الأمريكية بالموضوع في إطار برنامج عمله الذي بدأه عام 1973م للوفاق في الشرق الأوسط . وقد

نجح المعهد في عقد مؤتمر عام 1983م ضم باحثين من مصر وإسرائيل والأردن ولبنان وفلسطين لبحث ومناقشة القضايا المتعلقة بالشرق الأوسط ، وكان أن خرج المؤتمر بمجموعة دراسات أعدها أولئك الباحثون صدرت في كتاب تحت عنوان "اقتصاديات السلام" طرح من خلاله مشروع جامعة هارفارد الخاص بالشرق الأوسط والذي تضمن خطة واسعة وشاملة لإنشاء سوق شرق أوسطية مشتركة تشمل حرية انتقال الأشخاص ورؤوس الأموال والبضائع ، وتروج للمجالات الاقتصادية التي يمكن التعاون فيها بين دول المنطقة (19).

تطور الموقف الأمريكي تجاه مشروع السوق الشرق أوسطية المشتركة واتخذ منحى عمليا خلال مفاوضات السلام بمديريد عام 1991م حيث تبنت الولايات المتحدة الأمريكية المشروع ، بجانب إسرائيل وبعض الدول الأوروبية ، ودعمته باعتبارها الراعية الفعلية الوحيدة لسلام الشرق الأوسط ، وواصلت ذلك الدعم خلال المفاوضات الثنائية والمفاوضات متعددة الأطراف في أوسلو والقاهرة وواشنطن ووادي عربة ، وكذلك خلال مؤتمرات القمة الاقتصادية الشرق أوسطية الأربعة التي انعقدت في كل من الدار البيضاء ( عام 1994 ) وعمان ( عام 1995 ) والقاهرة ( عام 1996 ) والدوحة ( عام 1997 ) ، وستتطرق لذلك بالتفصيل عند حديثنا عن تلك المؤتمرات في جزء لاحق من هذه الورقة .

في تطور لاحق للموقف الأمريكي تجاه مشروع الشرق أوسطية ، وعلى خلفية تدايات أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م وما أفرزته من تحد جديد أمام الولايات المتحدة الأمريكية هو محاربة الإرهاب والأصولية الدينية، دفعت الإدارة الأمريكية بمشروع جديد تجاه المنطقة قامت بطرحه على مجموعة الدول الصناعية الثمانية الكبرى عام 2004 تحت اسم مشروع الشرق الأوسط الكبير.<sup>(20)</sup> داعية من خلاله الدول الثمانية إلى الاضطلاع بمسئوليتها تجاه معالجة النواقص الثلاثة التي حددها الكتاب العرب لتقرير الأمم المتحدة حول التنمية البشرية العربية لعامي 2002 و 2003 والمتمثلة في الحرية ، والمعرفة ، وتمكين النساء ، والتي ساهمت - من وجهة النظر الأمريكية - في خلق الظروف التي تهدد المصالح الوطنية لكل أعضاء مجموعة الثمانية.<sup>(21)</sup>

من خلال هذا الطرح يتضح أن الولايات المتحدة الأمريكية تحاول الربط بين انتشار ظاهرة الإرهاب الذي يهدد مصالح الدول الصناعية الكبرى وبين الظروف التي تعيشها دول الشرق الأوسط باعتبارها مصدرا لتلك الظاهرة . وقد استندت في ذلك الربط على ما جاء في التقريرين المشار إليهما من تردي الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الوطن العربي . وهذا التردي - من وجهة النظر الأمريكية - هو ما يغذي ظاهرة الإرهاب والهجرة غير المشروعة في ظل ضياع الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمواطني الدول العربية في أوطانهم .

يشير البعض إلى أن التمهيد لمشروع الشرق الأوسط الكبير بدأ بمبادرة أولية هي مبادرة الشراكة مع الشرق الأوسط التي طرحها وزير الخارجية الأمريكي كولن باول في أواخر عام 2002، وهي شراكة استهدفت العالم العربي على وجه التحديد مستخدمة المساعدات الخارجية ، والتجارة ، والتعليم والتحول الديمقراطي . فقد ركزت تلك المبادرة على ثلاثة مجالات هي الاقتصاد ، وذلك عن طريق المساعدة في الخصخصة والإصلاح الاقتصادي ، والسياسة، عن طريق تجسير فجوة الحرية بتقديم المساعدة للمبادرات المحلية وتقوية المجتمع المدني ، ثم التعليم ، بتجسير فجوة المعرفة عن طريق توسيع فرص التعليم العالي وترقية نوعية التعليم<sup>(22)</sup> . ويلاحظ التطابق الكبير بين المجالات التي ركزت عليها كل من مبادرة كولن باول ومبادرة الشرق الأوسط الكبير من أن الثانية ذهبت في نفس اتجاه الأولى من خلال دعوتها لدول الثمانية ، في قمة سي آيلاند ، لصياغة شراكة بعيدة المدى مع من أسمتهم بقيادة الإصلاح في الشرق الأوسط الكبيرة لتشجيع الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي في المنطقة. ويمكنها في هذا الشأن أن تتفق على أولويات مشتركة لمعالجة النواقص التي أوردها تقرير الأمم المتحدة الخاص بالتنمية البشرية العربية لعامي 2002 و2003، وذلك عبر تشجيع الديمقراطية والحكم الصالح في المنطقة ، وبناء مجتمع معرفي فيها ، وتوسيع الفرص الاقتصادية ، وقد ربطت المبادرة بين هذه الأولويات الثلاث باعتبارها السبيل إلى تنمية المنطقة ، فالديمقراطية والحكم الصالح هما الإطار الذي تتحقق داخله التنمية، والأفراد الذين يتمتعون بتعليم جيد هم أدوات التنمية ، وتوسيع الفرص الاقتصادية هي ماكينة التنمية<sup>(23)</sup>.

إن ما يهمنى في هذه المبادرة ، ولأغراض هذه الورقة ، هو الجانب المتعلق بتوسيع الفرص الاقتصادية الذي نادى به . ففي هذا الجانب دعت المبادرة دول الثمانية بضرورة تجسير الهوة الاقتصادية للشرق الأوسط الكبير ، من خلال إحداث تحول اقتصادي في المنطقة يكون مفتاحه إطلاق قدرات القطاع الخاص فيها ، خاصة مشاريع الأعمال الصغيرة والمتوسطة التي تشكل المحركات الرئيسية للنمو الاقتصادي وخلق فرص العمل . واقتُرحت في هذا الشأن اتخاذ مجموعة خطوات بعضها يتعلق بتمويل النمو والبعض الآخر يتعلق بتشجيع التجارة بين دول الشرق الأوسط الكبير . فبالنسبة لتمويل النمو فإن مشروع الشرق الأوسط الكبير يرى أن تقوية فاعلية القطاع المالي يعتبر عنصراً ضرورياً للتوصل إلى نسب أعلى للنمو وخلق فرص العمل . ويقترح على مجموعة الثمانية أن تسعى إلى إطلاق مبادرة مالية متكاملة تتضمن عدة عناصر تشمل إقراض المشروعات الصغيرة التي ما تزال تعاني من مشكلة التمويل بسبب ضعف ما يقدم لها مقارنة مع ما هو مطلوب ، وإنشاء مؤسسة المال للشرق الأوسط الكبير على طراز مؤسسة المال الدولية للمساعدة على تنمية مشاريع الأعمال المتوسطة والكبيرة بهدف التوصل إلى تكامل اقتصادي لمجال الأعمال في المنطقة، ثم إنشاء بنك تنمية الشرق الأوسط الكبير بحيث تساهم فيه الدول الثمانية الكبرى بمشاركة مقرضين من منطقة الشرق الأوسط الكبير ، ليكون مؤسسة إقليمية للتنمية على غرار ( البنك الأوربي للإعمار والتنمية ) لمساعدة الدول الساعية للإصلاح على توفير الاحتياجات الأولية للتنمية . ثم أخيراً الشراكة من أجل نظام مالي أفضل حيث ترى المبادرة أن بمقدور مجموعة دول الثمانية أن تعرض مشاركتها في عمليات إصلاح النظم المالية في البلدان المتقدمة في المنطقة، وذلك توجهاً لإصلاح الخدمات المالية فيها .

أما بالنسبة لتشجيع التجارة بين دول المنطقة فإن المشروع يقترح على مجموعة الثمانية ، في ظل ضعف التجارة البينية وندرة تجارة الحدود بين تلك الدول، أن تتشعب مبادرة جديدة لتشجيع التجارة في الشرق الأوسط الكبير تتضمن عدة عناصر ، أولها أن تعمل مجموعة الثمانية على زيادة تركيزها على انضمام دول المنطقة إلى منظمة التجارة العالمية من خلال برامج محددة للمساعدة في هذا الأمر . وثانيها أن تعمل دول المجموعة

على إنشاء مناطق تجارية في الشرق الأوسط الكبير للتركيز على تحسين التبادل التجاري في المنطقة والممارسات المتعلقة بالرسوم الجمركية. وثالثها أن تساعد على إقامة مناطق محددة لرعاية الأعمال في الشرق الأوسط الكبير تتولى تشجيع التعاون الإقليمي في تصميم وتصنيع وتسويق المنتجات . ورابعها إنشاء " منبر الفرص الاقتصادية للشرق الأوسط" لتشجيع التعاون الإقليمي المحسن ، حيث يمكن لهذا المنبر أن يجمع مسئولين كبارا من مجموعة الثمانية والشرق الأوسط الكبير لمناقشة قضايا الإصلاح الاقتصادي في المنطقة .

### 1-3- التصورات القائمة حول إتجاه المكاسب الاقتصادية المحتملة للشرق أوسطية :

كانت هناك العديد من التصورات المطروحة بواسطة الدراسات التي أجرتها عدة مؤسسات علمية ومالية ، فضلا عن تلك التي أجراها باحثون أفراد ، حول المكاسب الاقتصادية المحتملة لمشروع الشرق أوسطية ، سواء على مستوى الطرح الإسرائيلي أو الطرح الأمريكي ، حيث تؤكد تلك التصورات اتجاه تلك المكاسب نحو تحقيق المصالح الاسرائيلية والأمريكية بشكل أكبر بكثير من اتجاهها نحو تحقيق مصالح دول المنطقة الأخرى التي يستهدفها المشروع . فبالنسبة للمشروع الذي طرحته إسرائيل ودعمته الولايات المتحدة الأمريكية ، فقد نشطت عدة جهات خلال الفترة من 1989 - 1995 في دراسة الفكرة التي تضمنها ووضع التصورات التي تحدد معالم النظام الاقتصادي الشرق أوسطي . ومن بين تلك الجهات صندوق هامر لأبحاث السلام ومعهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى والأمانة العامة للمفوضية الأوروبية ببروكسل، والبنك الدولي للأشياء والتعمير، والتي اتفقت جميعها على أن التصور العملي لقيام السوق الشرق أوسطية المشتركة يقف عند صيغة " منطقة التجارة الحرة " التي يمكن أن تتطور إلى صيغة " الاتحاد الجمركي " . (24) وقد ذهبت التصورات التي تضمنتها الدراسات التي قامت بها تلك الجهات إلى أن تطبيق صيغة منطقة التجارة الحرة ، كصيغة محتملة للسوق الشرق أوسطية المشتركة يتم عبر ثلاث مراحل ، حيث يتم في المرحلة الأولى دمج الاقتصاد الفلسطيني في الاقتصاد الإسرائيلي ، بينما يتم في المرحلة الثانية توسيع نطاق منطقة التجارة الحرة لتشمل كلا من إسرائيل وفلسطين والأردن بهدف إقامة تجمع اقتصادي ثلاثي بينها . حيث كان من

المتصور أن يتم في تلك المرحلة انتقال السلع بحرية كاملة بين الدول الثلاث ، وفقاً لما أكدته دراسة معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى.<sup>(25)</sup> الأمر الذي كان سيبيح لإسرائيل في هذه المرحلة أن تتخذ من الاقتصاد الفلسطيني معبراً إلى بقية الدول العربية لتزويد من صادراتها الصناعية بالاستفادة من منطقة التجارة الحرة والاتحاد الجمركي المحدود الذي كان متصوراً أن ينشأ ، وهذا ماذهبت إليه دراسة المفوضية الأوروبية.<sup>(26)</sup> أما في المرحلة الثالثة ، فإن التصورات كانت قد أشارت إلى أن العمل سيجري على زيادة توسيع نطاق منطقة التجارة الحرة لتشمل دولاً عربية أخرى ودولاً غير عربية ، حيث تتضمن إليها كل من مصر وسوريا ولبنان وتركيا، وربما العراق .<sup>(27)</sup> وكانت مصادر أخرى قد أشارت إلى احتمال انضمام إيران وقبرص أيضاً.<sup>(28)</sup>

إن المكاسب الاقتصادية التي كان متصوراً تحقيقها بالنسبة لإسرائيل والدول العربية المشتركة في منطقة التجارة الحرة المحتملة ، وفقاً للدراسات التي أشرنا إليها تختلف من مرحلة لأخرى ومن دولة لدولة.<sup>(29)</sup> ففي المرحلة الأولى التي كان مفترضاً أن يتم فيها دمج الاقتصاد الفلسطيني في الاقتصاد الإسرائيلي فإن المكاسب التي كانت ستعود على اقتصاد إسرائيل إنما تتمثل في زيادة الناتج المحلي الإجمالي بسبب الزيادة المتصورة في ناتج قطاعي الصناعة والخدمات ، و كان متوقعاً للاقتصاد الفلسطيني أن يحقق نفس المكاسب المتمثلة في زيادة الناتج المحلي الإجمالي بسبب الزيادة المتوقعة في ناتج قطاعي التشييد والخدمات . أما في المرحلة الثانية التي كان من المفترض أن يتسع فيها نطاق منطقة التجارة الحرة المقترحة بدخول الأردن ، إلى جانب إسرائيل وفلسطين، فإن قوة الاقتصاد الإسرائيلي مقارنة بالاقتصاد الأردني والفلسطيني كانت ستترجم كفة المكاسب لصالح إسرائيل . ففي تلك المرحلة كان متصوراً أن تزداد الصادرات الصناعية الإسرائيلية إلى الدول العربية متخذة من فلسطين والأردن معبراً لها إلى أسواق تلك الدول ، كما كانت إسرائيل ستحصل على وارداتها من المواد الخام من الأسواق العربية بأسعار وشروط أفضل ، وكان الناتج المحلي الإجمالي الإسرائيلي سيزيد بسبب الزيادة التي كان من المتوقع حدوثها في قطاع التشييد . بجانب كل ذلك فإنه ، وبسبب الفارق في مستويات الأجور ، فقد كان من المتوقع انتقال العمالة الأردنية والفلسطينية إلى إسرائيل ، وربما أدى ذلك إلى

إفادة الاقتصاد الإسرائيلي من ناحيتين، الأولى الحصول على عمالة أقل أجراً ، والثانية زيادة الطلب على المنتجات الإسرائيلية في الأسواق العربية بسبب مساهمة تلك العمالة في نشر نمط الاستهلاك الإسرائيلي في بلدانهم . أما الاقتصاد الفلسطيني فإن التصورات حوله كانت ترى أنه في تلك المرحلة سيظل اقتصاداً خديماً وسيستمر كإقتصاد ملحق بالاقتصاد الإسرائيلي وغير قادر على النمو المستقل وعلى إعادة هيكلة قاعدته الإنتاجية . أما الأردن فإن الضرر الذي كان سيلحق بقاعدته الصناعية فيتمثل في انخفاض ناتجه الصناعي ، واستمرار اعتماده على قطاعي التشييد والخدمات ، وازدياد وارداته الصناعية من إسرائيل.

في المرحلة الثالثة كان متصوراً زيادة المكاسب الاقتصادية الإسرائيلية ، خاصة في ظل توسع نطاق منطقة التجارة الحرة المقترحة ، حيث كان سيزداد الناتج الصناعي وناتج قطاع التشييد ، فضلاً عن ناتج القطاع الزراعي الذي كان متوقعاً نموه . كما كان متوقعاً نمو قطاع الخدمات بشكل كبير بسبب زيادة حركة السياحة ، والنقل والمواصلات ، والخدمات المالية والاستشارية . وكان كل ذلك سيؤدي إلى نمو الناتج المحلي الإجمالي لإسرائيل . وكانت معدلات التشغيل ستزداد وتنخفض البطالة نتيجة لتزايد تدفقات الاستثمارات الخارجية إلى إسرائيل جراء التقدم الكبير الذي كان سيحققه اقتصادها . أما الدول العربية ، بما فيها فلسطين والأردن ، فإنه لم يكن متصوراً أن تجني مكاسب تذكر في هذه المرحلة ، بل إن آثاراً سلبية كان متوقعاً أن تلحق باقتصادياتها ، فالناتج الصناعي فيها كان سيتأثر سلباً لعدم قدرته على منافسة الصناعة الإسرائيلية ، خاصة التحويلية منها ، وكان سيتربط على ذلك انخفاض صادراتها من السلع الصناعية . وبسبب التراجع المتوقع في الصناعة العربية فإن واردت الدول العربية من المنتجات الصناعية الإسرائيلية كانت ستزداد ، كما كانت ستزداد وارداتها الزراعية لعدم توقع حدوث تحسن كبير في أوضاع الزراعة العربية . وسيظل اعتمادها على تصدير المواد الخام الأولية وبعض السلع الزراعية في صورتها الخام قائماً .

إن ما تقدم يشير بوضوح إلى أن إسرائيل كانت ستصبح الراجح الأكبر فيما يتعلق بحصد المكاسب الاقتصادية المتصورة من قيام سوق شرق أوسطية محتملة . وكانت تلك

المكاسب ستتعاظم في حال قيام مشروعات الربط الاقليمي في إطار المشروعات المشتركة للتعاون الاقتصادي في المنطقة وفقا للرؤية الإسرائيلية المدعومة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية .

أما فيما يتعلق بالتصورات الخاصة باتجاهات المكاسب الاقتصادية المتوقع تحقيقها من مشروع الشرق الأوسط الكبير فإن بعض الدراسات التي تضمنت بعضاً من تلك التصورات كانت ترى أن الشركات الأمريكية والإسرائيلية هي وحدها التي كانت ستحصد تلك المكاسب . فبالنظر إلى مآرب مشروع الشرق الأوسط الكبير يلاحظ أنه كان يسعى، إلى جانب وقف ما يسمى بصناعة الأرهاب ، إلى تحقيق الظروف المطلوبة لتمكين الشركات الأجنبية المتوقع قدومها إلى المنطقة من العمل وفقاً لأسس اقتصادية وإدارية تمكنها من تحقيق المزايا والقدرات النسبية من منظور دولي<sup>(30)</sup> . فقد تضمن المشروع بنوداً تمثل شروطاً لدخول الاستثمارات الدولية إلى دول المنطقة، مثل تسهيل انتقال الخدمات المالية وانتقال السلع والمنتجات ، ومثل الشفافية ومحاربة الفساد ، فضلاً عن شفافية أسواق الأموال وحرية حركة الأموال . كما تضمن بنوداً حول فتح الحدود أمام التجارة البينية لدول المنطقة، وبهذا الوضع فإن المشروع كان سيفتح الباب واسعاً أمام الشركات الأمريكية والإسرائيلية للاستثمار في المنطقة العربية . كما كان سيتيح المجال لإسرائيل لغزو الأسواق العربية والسيطرة عليها بما تملكه من ميزات نسبية عالية وقدرات تنافسية كبيرة مقارنة بالدول العربية . فقد حققت إسرائيل تقدماً علمياً في مختلف المجالات مكنها من تحقيق طفرة في الإنتاج الرأسي ، ومن ثم اكتساب مزايا نسبية متفوقة دولياً وإقليمياً، في الوقت الذي مايزال فيه التقدم في مجال بناء القدرات في الدول العربية بطيئاً مقارنة بما هو مطلوب . كما أن الشركات العربية لا تملك قدرات تنافسية ومزايا نسبية من منظور دولي بسبب صغر حجمها وضعف مقدراتها التمويلية ، لأنها منذ البداية لم تتأسس على فكرة الانفتاح دولياً وإنما قامت على فكرة إنتاج السلع والخدمات للاستهلاك المحلي وبنيت استراتيجياتها على هذا الأساس . وفي ظل هذا الوضع فإنها لن تقوى على منافسة الشركات الأمريكية والإسرائيلية التي تملك المال والتقنية والرؤية الواضحة والإرادة .



إذاً ، فمشروع الشرق الأوسط الكبير ، وفي ظل هذه المعطيات ، هدف إلي إقامة نظام اقتصادي اقليمي محدود وتابع ، تصبح فيه إسرائيل مركز الدائرة وقطب الرحى ، وتبقى الدول العربية هي الأطراف المشدودة إلى ذلك المركز . فإسرائيل تتولى عملية الإنتاج بالاستفادة من قدراتها الإنتاجية العالية ومن الموارد العربية المتنوعة الكبيرة ذات الأسعار المنخفضة ، التي سيوفرها لها النظام الشرق أوسطي ، وتتولى الدول العربية عملية الاستهلاك بما لديها من أسواق واسعة وواعدة . وبذلك ستصطاد إسرائيل عصفورين بحجر واحد من خلال حصولها على موارد رخيصة (بما فيها العمالة ) تدعم بها نشاطها الإنتاجي والصناعي من جهة ، ومن خلال حصولها على أسواق لتصريف منتجاتها من جهة أخرى .

#### 4-1 مؤتمرات السوق الشرق أوسطية المشتركة :

لم يتوقف المشروع الشرق أوسطي عند حدود طرح الأفكار والتصورات بشأنه، بل تعدى ذلك باتخاذ خطوات عملية لإنزال تلك الأفكار والتصورات إلى أرض الواقع، وقد تمثلت تلك الخطوات في عقد أربعة مؤتمرات في كل من الدار البيضاء ( عام 1994) وعمان ( عام 1995) والقاهرة ( عام1996) ، والدوحة ( عام 1997 ) حيث بحثت جميعها موضوع التعاون الاقتصادي والأمن الإقليمي ، وذلك تحت رعاية الولايات المتحدة الأمريكية التي دعت دولا أوربية وغير أوربية لحضورها . وقد شاركت في تلك المؤتمرات من دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا حوالي 13 دولة عربية بجانب إسرائيل .

تمخضت فعاليات تلك المؤتمرات عن العديد من النتائج المتمثلة في مقترحات لمشروعات مشتركة ، ثنائية ومتعددة الأطراف . فمن أهم نتائج مؤتمر الدار البيضاء الاتفاق على إنشاء بنك الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وتكوين لجنة خبراء لهذا الغرض . وكذلك الاتفاق على إنشاء آليات تعمل على تعميق التعاون الشرق أوسطي، كإقامة غرفة تجارية ومجلس أعمال تابع للقطاع الخاص ، وكنشاء لجنة من ممثلي الحكومات للتنسيق في كل جوانب التعاون الاقتصادي الإقليمي ، وسكرتارية تنفيذية للمساعدة في تدعيم بنية التنمية الاقتصادية في المنطقة . هذا فضلا عن الاتفاق على إنشاء هيئة إقليمية للسياحة والسفر ، وقد طرحت في ذلك المؤتمر العديد من مشروعات الربط الإقليمي ، حيث تقدمت

إسرائيل وحدها بـ 150 مشروعا شملت قطاعات التنمية الاقتصادية المختلفة من مياه وبنية تحتية وطاقة واتصالات ، بجانب قطاعي البيئة والسياحة. <sup>(31)</sup> بينما تقدمت مصر بـ 58 مشروعا في مجالات البنية الأساسية والطاقة والصناعة والزراعة والسياحة . كما تقدمت فلسطين بمشروعات تقدر تكلفتها بـ 6مليارات دولار ، في حين تقدمت الأردن بـ 121 مشروعا بتكلفة استثمارية تقدر بـ 180 مليار دولار. <sup>(32)</sup> أما نتائج مؤتمر عمان فقد كان أبرزها الاتفاق على تفعيل المؤسسات الشرق أوسطية ، مثل بنك الشرق الأوسط للتنمية من خلال اتخاذ الخطوات التنفيذية لتأسيسه برأسمال قدره خمسة مليارات دولار ، فضلا عن الاتفاق على التعاون الاقتصادي من خلال المشروعات المشتركة التي تم طرحها من قبل بعض الدول المشاركة في المؤتمر ، والتي شملت مجالات المياه ، والزراعة ، والنقل والاتصالات والطاقة ، والصناعة، والتجارة ، وتنمية الموارد البشرية . أما مؤتمر القاهرة فقد شهد أيضا طرح مزيد من مشروعات التعاون الاقتصادي المشترك التي عكست تنافس الدول المشاركة في المؤتمر في هذا الشأن . فقد طرحت مصر 188 مشروعا بتكلفة اجمالية بلغت حوالي 33 مليار دولار، بينما طرحت إسرائيل 50 مشروعا ، في حين طرحت الأردن 25 مشروعا استثماريا كبيرا بتكلفة تبلغ 7مليارات دولار ، في الوقت الذي طرحت فيه قطر 11 مشروعا صناعيا . ولم تتخلف عن ذلك كل من تونس والمغرب اللتان طرحتا عددا من المشروعات الصناعية أيضا .

غير أنغم يكتب لكل تلك المشروعات أن ترى النور بسبب فشل مؤتمر الدوحة عام 1997م، والذي انعقد في ظروف بالغة التعقيد أهمها تعثر عمليات السلام الشامل في المنطقة نتيجة لتعنت الحكومة الإسرائيلية بقيادة بنيامين نتنياهو ، والتي فصلت بين عملية السلام الشامل وبين التعاون الاقتصادي مع دول المنطقة على أساس ما كانت تراه تلك الحكومة من عدم جدوى ذلك التعاون وتفضيل الاتجاه نحو التعاون الاقتصادي مع أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية. <sup>(33)</sup> وقد نجم عن ذلك الموقف مقاطعة معظم الدول العربية التي شاركت في المؤتمرات السابقة لمؤتمر الدوحة مثل مصر والسعودية والإمارات وسوريا والمغرب .

إن فشل مشروع السوق الشرق أوسطية خلال تلك المرحلة التاريخية لايعني بالضرورة موت الفكرة نهائياً ، فهي فكرة محورية في التفكير الاستراتيجي الاسرائيلي وفي الإستراتيجية الأمريكية تجاه المنطقة .، وستظل تقفز إلى السطح باستمرار كلما سحنت الفرصة لذلك ، وما مشروع الشرق الأوسط الكبير الذي طرحته الولايات المتحدة الأمريكية في فترة لاحقة إلا تأكيداً لذلك . فالمشروع الامريكي في جوهره وتفصيله هو نفسه المشروع الاسرائيلي الشرق أوسطي بكل جوانبه مع اختلاف بسيط في النطاق الجغرافي للمشروعين .

## 2/مشروع الشراكة المتوسطية :

أتى هذا المشروع ضمن المشروعات العديدة التي طرحتها أوربا تجاه منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ، بل هو المشروع الأبرز من بين تلك المشروعات باعتباره يمثل منعطفامهماً في العلاقات الأوروبية / المتوسطية . ذلك أن الاتحاد الأوربي بإقراره لهذا للمشروع يبدو ، كما يرى الشاذلي العياري<sup>(34)</sup> ، أقر ولأول مرة باستراتيجية البحر المتوسط استناداً إلى منظورين مهمين ، أولهما أن البحر المتوسط عنصر أساسي في أمن أوربا ذاتها ، وثانيهما أن البحر المتوسط عمق من أعماق خطة أوربا الكبرى الرامية إلى الارتقاء إلى مصاف القوى الكونية المهيمنة اقتصادياً وتقنياً وسياسياً وثقافياً. وبالنظر إلى هذا المشروع وما سبقه وما تلاه من مشروعات أوربية تجاه منطقة حوض المتوسط يتأكد لنا أن حساس الجماعة الأوروبية بأهمية المنطقة ليست أمراً طارئاً أو ظرفياً ، وإنما هو ركن دائم من أركان السياسة الخارجية للجماعة<sup>(35)</sup>.

لقد سبقت مشروع الشراكة المتوسطية مشاريع أوربية أخرى كانت بمثابة تمهيد له، منها السياسة المتوسطية الشاملة التي هدفت إلى دعم التعاون بين دول حوض المتوسط في مختلف المجالات ، ثم السياسة المتوسطية المتجددة أو المؤزرة التي اعتمدها الجماعة الأوروبية عام 1989 وهدفت من خلالها إلى إدخال عمق جديد ضمن برامج تعاونها مع دول جنوب وشرق المتوسط عن طريق دعم الإصلاحات الاقتصادية والهيكلية ، ودفع عمليات التحديث ، ودعم التوجه الانفتاحي فيها، وذلك توطئة للدخول في عهد الشراكة كمرحلة جديدة في العلاقات الأوروبية - المتوسطية . وعلى الرغم من أن تنفيذ هذه

السياسة قد نجمت عنه بعض الفوائد بالنسبة للدول المتوسطة، خاصة في مجال تجارتها مع أوروبا بحيث زادت صادراتها مع الدول الأوروبية بنسب لا يمكن تجاهلها<sup>(36)</sup>، وكذلك في مجال التعاون المالي والتقني<sup>(37)</sup>. إلا أنها ظلت فوائد محدودة بالنظر إلى ما كان منشولاً من تلك السياسة. فما تم إنفاذه في إطارها لم يتجاوز ما يمكن تسميته بالتعاون التقليدي التفضيلي القائم على منح بعض المزايا التفضيلية، وهو إطار أثبت عدم جدواه في تحقيق أهداف السياسة الأوروبية التعاونية تجاه دول جنوب وشرق المتوسط. وقد أكد ذلك تقرير لجنة بروكسل الخاص بتقييم سياسة أوروبا تجاه الفضاء المتوسطي، والذي تضمن نقدا ذاتيا لتلك السياسة في كليتها.

ازاء هذا الوضع، ولما كانت أوروبا تبحث في سياق التطورات التي شهدتها الساحة الدولية منذ حرب الخليج الثانية عن دور مهم في منطقة الشرق الأوسط باعتبارها منطقة حيوية واستراتيجية وذات تأثير على مجريات الأحداث في السياسة الدولية، فقد صادق المجلس الأوروبي، الذي يمثل أعلى سلطة في الاتحاد الأوروبي، في دورة انعقاده التي شهدتها مدينة آسن الألمانية عام 1994م، على الأسس التي يجب أن تقوم عليها الشراكة الجديدة بين دول الاتحاد ودول شاطيء شرق وجنوب المتوسط. وهي الأسس التي على ضوءها قرأ مؤتمر برشلونة عام 1995م مشروع الشراكة المتوسطية بين الدول المشاطئة للبحر الأبيض المتوسط، والتي تضم دولاً أوروبية وأخرى عربية، وهو ما اعتبره البعض مشروعاً لإبراز الدور الأوروبي الفعال في تقرير مستقبل المنطقة الحيوية بالنسبة للأمن الأوروبي<sup>(38)</sup>.

## 2-1 : أسباب ودوافع طرح مشروع الشراكة المتوسطية :

لا بد أن هناك أسباباً ودوافع قادت المجموعة الأوروبية إلى طرح مبادرتها الخاصة بمشروع الشراكة المتوسطية. ومن تلك الأسباب ما هو سياسي، ومنها ما هو أمني، ومنها ما هو اقتصادي. ويلخص بعض الكتاب تلك الأسباب في الآتي<sup>(39)</sup>:

- 1- أن طرح مشروع الشراكة المتوسطية جاء كمشروع أوروبي - عربي في مقابل المشروع الأمريكي - الإسرائيلي المتمثل في الشرق أوسطية في ظل احتدام المنافسة بين الولايات المتحدة الأمريكية والجماعة الأوروبية في منطقة الشرق الأوسط، لاسيما عقب

حرب الخليج الثانية وما أعقبها من ترتيبات اقليمية جديدة استهدفت بناء شرق أوسط جديد .

2- شعور دول الاتحاد الأوربي ، وهي تستكمل وحدتها ، بأخطار عديدة مصدرها دول جنوب البحر الأبيض المتوسط تهدد أمنها واستقرارها ( مثل المخدرات ، والهجرة غير المشروعة المتنامية ، والأصولية الدينية وما يرتبط بها من إرهاب ) بسبب التفاوت الاقتصادي الكبير بين المجتمعات الأوربية ومجتمعات تلك الدول . وقد دفع ذلك الشعور دول الاتحاد الأوربي إلى التفكير في الحد من تلك المخاطر والعمل على إزالة أسبابها عن طريق المساهمة في تنمية وتطوير اقتصادات دول جنوب المتوسط وحل مشكلاتها من خلال الدخول معها في شكل من أشكال التعاون الاقتصادي والاجتماعي والثقافي .

3- توسيع نطاق السوق أمام صادرات دول الاتحاد الأوربي من سلع وخدمات ، من خلال إدماج دول جنوب المتوسط في الفضاء الاقتصادي الأوربي تدريجيا بحيث تنتقل اقتصادات تلك الدول من اقتصادات مجزأة ذات أسواق صغيرة هامشية إلي فضاء اقتصادي أكثر تماسكا وأوسع نطاقا (40).

## 2-2: مؤتمر برشلونة والأبعاد الاقتصادية للشراكة المتوسطية

لقد حضرت مؤتمر برشلونة الخاص بقرار الشراكة المتوسطية الدول الخمسة عشر المكونة للاتحاد الأوربي آنذاك (1995) وسبع دول عربية هي مصر وسوريا ولبنان وفلسطين والمغرب وتونس والجزائر ، بالإضافة إلى تركيا وقبرص ومالطا وإسرائيل . فيما حضرته جامعة الدول العربية والاتحاد المغاربي وموريتانيا بصفة ضيف خاص . اشتمل الإعلان الذي تمخض عنه المؤتمر ، وأقرته الدول المجتمععة على مستوى وزراء الخارجية ، على ثلاثة جوانب ، هي الشراكة السياسية ، والشراكة الاقتصادية والمالية ، والشراكة الاجتماعية والثقافية . وعلى الرغم من اشتمال الإعلان لهذه الجوانب الثلاثة إلا أن الهدف المباشر والرئيسي لخطة الشراكة المتوسطية هو إقامة فضاء اقتصادي ( أوربي - متوسطي ) ، لاسيما وأن إعلان برشلونة شدد ، فيما يختص بالشراكة الاقتصادية والمالية ، على أهمية النمو الاقتصادي والاجتماعي الدائم والمتوازن في بناء منطقة رفاحية

مشتركة . ويمكن إبراز الأبعاد الاقتصادية لمشروع الشراكة المتوسطة بصورة أكثر وضوحاً من وجهتين :

**أولاً : الشراكة الاقتصادية :** وفقاً لإعلان برشلونة فإن الشراكة المتوسطة تضمنت ثلاث شراكات أشرنا إليها من قبل ، ومن بينها الشراكة الاقتصادية التي تشتمل على عدة مكونات ، هي: (41).

1- إقامة منطقة للتجارة الحرة بين أوروبا والدول المتوسطة بشكل تدريجي حتى عام 2010م .

2- تشجيع تنمية اقتصادية متكاملة ، وتحقيق نمو مستمر يحافظ على البيئة والموارد الطبيعية والأحياء المائية والمصائد والتنمية الريفية .

3- إيجاد مناخ موات للاستثمار الأجنبي المباشر والتعاون بين الشركات .

4- تطوير البنية التحتية والاتصالات والنقل والمعلومات والخدمات والسياحة .

5- تنمية إمكانيات البحث والتأهيل العلمي والفني ، خاصة في مجال العلوم والتقنية والإحصاء والطاقة والتخطيط الإقليمي .

يلاحظ على هذه المكونات أنها تمثل جوهر أهداف الشراكة المتوسطة . وهي أهداف إيجابية، إذا كانت مرادة لذاتها ، لاسيما إذا ما نظرنا إلى واقع كثير من دول جنوب وشرق المتوسط التي إذا ما أحسنت التعامل مع هذه الشراكة فإن الفرصة ستكون متاحة أمامها لتحقيق مكاسب عديدة فمنطقة التجارة الحرة التي يتضمنها مشروع الشراكة ستكون بلا شك أكبر منطقة تجارة حرة في العالم تجمع ما بين 30-40 دولة يبلغ عدد سكانها مجتمعة ما بين 600 إلى 800 مليون نسمة. (43) وسيتيح مثل هذا التجمع التجاري الكبير لدول جنوب وشرق المتوسط فرصة الاستفادة من مكاسب التجارة مع دول متقدمة اقتصادياً وتكنولوجياً . كما أن الانضمام لمثل هذا التجمع سيساهم في عملية اندماجها في الاقتصاد العالمي الذي تتادي بها مؤسسات العولمة . كذلك فإن أهدافاً مثل تشجيع التنمية الاقتصادية المتكاملة ، وتحقيق النمو المستمر ، وتطوير البنى الأساسية، وتنمية إمكانيات البحث العلمي والتأهيل الفني . هي جميعها أهداف تصب في مصلحة الدول الأضعف في هذه الشراكة ، وهي دول جنوب وشرق المتوسط وإذا ما تحقق ذلك بالفعل

فإن عهدا جديدا من التعاون الاقتصادي المثمر ستشهده العلاقات الاقتصادية الأوروبية - المتوسطية ، عهداً يتعمق فيه ذلك التعاون وتحقق من خلاله شراكة حقيقية تقوم على تفاعل حقيقي بين أطرافه .

غير أن هذا الأمر يظل حلما يتعثر تحققه في ظل عدد من الاعتبارات ، أهمها توجه اهتمام الاتحاد الأوروبي نحو الشراكة مع دول أوربا الوسطى والشرقية فيما يعرف ببرنامج Phare الهادف إلى تأطير وتعميق التعاون الاقتصادي مع تلك الدول في إطار مساعي ضمها إلى منظومة الوحدة الأوروبية فضلا عن قيود أخرى تواجه إنفاذ خطة وأهداف الشراكة المتوسطية مثل معاهدة " ماستريخت " التي تأسس عليها الاتحاد الأوروبي ، والتي تتضمن بنودا والتزامات تحد من حرية الاتحاد في الدخول مع أطراف ثالثة في أي اتفاقيات أو معاهدات أخرى (43).

**ثانيا : نسبة القضايا الاقتصادية من جملة القضايا التي طرحت من مؤتمر برشلونة** بلغت نسبة ما طرح من قضايا اقتصادية ضمن ما تم طرحه من قضايا حوالي 48,3% ، في الوقت الذي بلغت فيه نسبة القضايا السياسية والأمنية حوالي 45,5% تقريبا ، أما نسبة القضايا الاجتماعية فقد كانت 6,4% . إذا فالنسبة العالية للقضايا الاقتصادية في المؤتمر تعكس البعد الاقتصادي الكبير لمشروع الشراكة المتوسطية .

### 2-3 مبادرات أوروبية أخرى تجاه الشرق الأوسط :

لم تقف المبادرات الأوروبية تجاه منطقة الشرق الأوسط فقط عند مبادرة برشلونة (1995) إنما هلك مبادرات أخرى طرحتها أوربا هي بمثابة امتداد لتلك المبادرة ، من أهمها استراتيجية تعزيز المشاركة مع العالم العربي التي طرحها الاتحاد الأوروبي عام 2003 ، وسياسة الجوار الأوروبي الجديد التي جاءت سابقة لاستراتيجية تعزيز المشاركة، وإن كانت في نفس العام .

### 2-3-1: سياسة الجوار الأوروبي الجديد

صدرت هذه السياسة من خلال الوثيقة الرسمية التي نشرتها المفوضية الأوروبية في مارس 2003 تحت عنوان " أوربا الموسعة والجوار : إطار جديدة للعلاقات مع الشرق والجنوب " وقد سميت هذه السياسة لاحقا بـ " سياسة الجوار الأوروبي الجديد " حيث

استهدفت بدرجة أساسية تفعيل وتطوير علاقات أوروبا مع دول جنوب المتوسط وبعض دول أوروبا الشرقية وتحديد روسيا وأوكرانيا وروسيا البيضاء ، باعتبارها تمثل مجالا حيويا لأوروبا خلال العقود القادمة.<sup>(45)</sup>

لقد تضمنت سياسة الجوار الأوربي الجديد أفكارا تستهدف تعزيز التعاون الأوربي مع دول الجوار المعنية في مختلف المجالات السياسية والأمنية والاقتصادية ، على أساس أن الجوار الجغرافي يتيح فرصا أكبر للتعاون . وقد أكدت الوثيقة الرسمية التي تضمنت هذه السياسة على وجوب قيام الاتحاد الأوربي بالعمل على دعم علاقاته مع دول الجوار في المديين المتوسط والطويل ، على أن يتم التركيز خلال العقد القادم على الآتي :

أ- العمل مع الشركاء ( دول الجوار ) لتقليص الفقر وخلق منطقة رخاء مشتركة قائمة على تكامل اقتصادي أكمل ، وعلاقات ثقافية وسياسية معززة ، وتكثيف التعاون عبر الحدود ، والمسئولية المشتركة لمنع النزاعات بين الاتحاد وجيرانه.

ب- ربط عروض الاتحاد الأوربي لمزايا وعلاقات تفضيلية لدول الجوار بمدى التقدم الذي يحرزه الشركاء في المجالين السياسي والاقتصادي .

إن تركيز سياسة الجوار الأوربي الجديد على النقطتين أعلاه تشير بوضوح إلى أهمية البعد الاقتصادي في إطار هذه السياسة. ويتأكد البعد الاقتصادي لهذه السياسة بصورة أوضح بالنظر إلى الشق الاقتصادي الذي تضمنته وثيقة المفوضية الأوربية الخاصة لسياسة الجوار الأوربي الجديد ، فقد اشتمل ذلك الشق على عدة عناصر، هي:<sup>(46)</sup>

1. التكامل الإقليمي والتجارة يمثلان هدفا رئيسيا للسياسة الأوربية تجاه المتوسط لتأثيرهما الإيجابي على الاستقرار السياسي والاقتصادي الإقليمي ، والذي يؤدي بدوره إلى خلق سوق متوسطي أوسع .
2. أهمية أن يمتد تنفيذ اتفاقات المشاركة مع دول جنوب البحر الأبيض المتوسط إلى جميع السلع وإلى قطاع الخدمات .
3. ضرورة زيادة الاستثمارات في منطقة المتوسط والاهتمام بمجالات التعليم والصحة والتدريب .



4. توسيع السوق الداخلي ، وإيجاد معايير مشتركة بهدف تسهيل نفاذ سلع دول الجوار ، والاستفادة من السوق الأوربي الداخلي الأوسع ، وخلق مناخ ملائم للنمو الاقتصادي .

5. أن حرية التجارة هي المفتاح الأساسي لتكامل السوق . ولهذا ، واتساقا مع إعلان برشلونة لعام 1995م ، فإن اتفاقات التجارة الحرة الموجودة بالفعل مع دول المتوسط يجب أن تغطي مجالات السلع والخدمات .

6. إنشاء وسائل تمويل جديدة مثل البنك الأورومتوسطي من أجل تنمية القطاع الخاص.

### 2-3-2: استراتيجية الاتحاد الأوربي لتعزيز المشاركة مع العالم العربي :

تم إعلان هذه الاستراتيجية في 4 ديسمبر 2003 كنتاج للعمل المشترك الذي قامت به المفوضية الأوربية وخافيير سولانا الممثل الأعلى للسياسة الخارجية والأمنية المشتركة للاتحاد الأوربي بناء على التكاليف الصادر من القمة الأوربية التي انعقدت في تسالونيك باليونان في يونيو 2003 م .

هدف الإعلان إلى تدعيم العلاقات الأوربية - العربية بالتركيز على الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي في العالم العربي ، وذلك من خلال التأكيد على أهمية التعاون الأورومتوسطي في إطار عملية برشلونة ، والحفاظ على المكاسب التي تحققت في إطارها ، ودعوة الاتحاد الأوربي إلى بلورة استراتيجية إقليمية للاستقرار فيما يسمى بالشرق الأوسط الكبير الذي يضم بجانب دول مجلس التعاون الخليجي الست كلا من اليمن والعراق وإيران . خاصة وأنه لم تكن هنالك استراتيجية للاتحاد الأوربي توجه تعامله مع تلك الدول حتى ذلك الوقت .

لقد استهدف الشق الاقتصادي من استراتيجية الاتحاد الأوربي لتعزيز المشاركة مع العالم العربي إجراء إصلاحات اقتصادية من خلال تحرير التجارة بين العالم العربي وأوربا ، فضلا عن تحرير التجارة البينية العربية . وفي هذا السياق فإن خطة هذه الاستراتيجية وضعت ، ضمن ما وضعت من أفكار تغطي أهدافها المختلفة ، مجموعة أفكار خاصة بالجانب الاقتصادي يمكن تلخيصها فيما يلي : (47).

- أ - إدخال اصلاحات اقتصادية تتيح للدول العربية المستهدفة بهذه الاستراتيجية فرصة المشاركة الكاملة في الاقتصاد العالمي وتوفير فرص عمل للأجيال القادمة .
- ب - ضرورة استمرار الاتحاد الأوربي في تحرير التجارة بين دول الشراكة المتوسطية في إطار عملية برشلونة ، بما في ذلك تحرير تجارة المنتجات الزراعية والخدمات والتوصل إلى إتفاقية تجارة حرة مع دول مجلس التعاون الخليجي ، ومساعدة تلك الدول في التوصل إلى عملة موحدة أو سوق مشتركة فيما بينها .
- ج - دعم التكامل الإقليمي بين دول جنوب المتوسط ودعم المبادرات الخاصة بهذا الشأن مثل إعلان أغادير واتحاد المغرب العربي .
- د - دعم التوصل إلى إتفاقيات تجارة حرة إقليمية من خلال ربط إتفاقيات التجارة الحرة الأورو متوسطية بإتفاقية للتجارة الحرة بين الاتحاد الأوربي ومجلس التعاون الخليجي .
- هـ - دعم إطار التعاون الاقتصادي مع الاتحاد الأوربي ، بما في ذلك دعم ربط شبكات الطاقة والنقل والاتصالات مع تلك الدول على المستوى الأوربي .
- إذا ، فإن هاتين المبادرتين تمثلان امتدادا لمبادرة برشلونة ومن ثم تشكلان معها مكونات المشروع الأوربي تجاه الشرق الأوسط . وهو المشروع الذي يوازي المشروع الأمريكي في المنطقة وإن كان يتقاطع معه في بعض الأحيان حينما تلتقي المصالح الغربية في مجملها في الشرق الأوسط .

### خلاصة

إن ما تخلص إليه هذه الورقة هو بروز الأبعاد الاقتصادية في المشروعات السياسية الغربية الموجهة نحو منطقة الشرق الأوسط . لاسيما وأن المنطقة تكتسب أهميتها بالنسبة للغرب من خلال أهميتها الاقتصادية بالنسبة للعالم ككل . ويوحى وجود مشروع أوربي في المنطقة في مواجهة مشروع أمريكي بوجود تضارب بين المصالح الاقتصادية الأوربية والمصالح الاقتصادية الأمريكية في المنطقة على الرغم مما قد يتصوره البعض من تناغم تلك المصالح مع بعضها البعض في ظل تناغم مسارات ومواقف الطرفين تجاه مختلف القضايا الإقليمية والدولية . ويعكس بروز الأبعاد الاقتصادية في تلك المشروعات مدى تعويل الغرب على العامل الاقتصادي في حل العديد من القضايا المزمنة التي تعاني منها منطقة الشرق الأوسط

، فضلاً عما تعكسه من ارتباط أغلب تلك القضايا بالظروف الاقتصادية التي تعيشها دول المنطقة .

إن وجود مثل هذه المشروعات ، وفقاً لما يراه معظم الباحثين والدارسين ، يشكل أحد أهم التحديات التي تواجه جهود التكامل الاقتصادي العربي ، لاسيما وأنها تطرح كبدائل في مواجهة المشروع التكاملي الذي تسعى الدول العربية لإنفاذه فيما بينها منذ عقود طويلة ، ولا تزال تتعثر فيه . ولا يكمن الخوف من تلك المشروعات في كونها تشكل بدائل في مواجهة المشروع التكاملي العربي فحسب ، وإنما أيضاً في تعامل الدول العربية معها كأحاد وليس كدول متكاملة اقتصادياً ، الأمر الذي يجعلها غير قادرة على التعامل المتكافيء مع الأطراف الأخرى الداخلة في تلك المشروعات بسبب التفوق الاقتصادي لتلك الأطراف، وبالتالي يضعف من فرص استفادتها بشكل أفضل من مثل تلك المشروعات .

**الهوامش**

- 1- لمزيد من التفصيل يمكن مراجعة كل من :  
- سيار الجميل ، المجال الحيوي للشرق الأوسط إزاء النظام الدولي القادم ، في : العرب وتحديات النظام العالمي ، سلسلة كتب المستقبل العربي - العدد 16 (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية اكتوبر 1999 ، ص ص 249 ، 250
- سمعان بطرس فرج الله (مشرف ) ، مستقبل الترتيبات الاقليمية في منطقة الشرق الأوسط وتأثيراتها علي الوطن العربي ، ( القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية ، 1998 ) .
- 2- انظر في ذلك : د. حمدي عبدالرحمن حسن ، العولمة وآثارها السياسية في النظام الإقليمي العربي ، المستقبل العربي ، ( بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد 258 اغسطس 2000 ) ، ص 13 .
- 3- سيار الجميل ، مرجع سابق ، ص 249 .
- 4- د. محمود عبد الفضيل ، مشاريع الترتيبات الاقتصادية الشرق أوسطية : التصورات - المحاذير وأشكال المواجهة ، في : التحديات الشرق أوسطية الجديدة والوطن العربي ، ( بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 1994 ) ، ص 221
- 5- انظر في ذلك :  
د. الشفيق محمد المكي ، السوق الشرق أوسطية ، سلسلة قضايا استراتيجية ، مركز دراسات الشرق الأوسط وإفريقيا ، مارس 2003م الصفحات 12 - 24 .
- 6- المرجع السابق ، ص 14 .
- 7- المرجع السابق ، صفحة 16 .
- 8- المرجع السابق ، نفس الصفحة .
- 9- نعمات الزيات ، بدء العد التنازلي للسوق الشرق أوسطية ، سلسلة كتاب الاهرام الاقتصادي ( القاهرة : مؤسسة الاهرام ، 1993 ، ص ص 38 ، 39 .
- 10- د. الشفيق محمد المكي ، مرجع سابق ، ص 22 .
- 11- المرجع السابق ، ص 25
- 12- راجع في ذلك :  
شيمون بيريز ، الشرق الأوسط الجديد ، ترجمة محمد حلمي عبدالحافظ ، ( عمان : الأهلية للنشر والتوزيع ، 1994 ) .
- 13- جلال عبدالله معوض ، الشرق الأوسط : الدلالات والتطورات الجارية والمحتملة ، شئون عربية ( العدد 80 - ديسمبر 1994 ) ، ص 150

- 14- للمزيد من التفصيل انظر : شيمون بيريذ مرجع سابق ، الفصلين العاشر والحادي عشر .
- 15- المرجع السابق ، ص 75
- 16- حول تطور التجربة الأوربية في التكامل والاندماج راجع : د. محمد محمود الإمام ، تطور الأطر المؤسسية للاتحاد الأوربي - الدروس المستفادة للتكامل العربي ( القاهرة : جامعة الدول العربية - المنظمة العربية للتنمية الإدارية 1998 ) ص . ص 139 - 166 .
- 17- شيمون بيريذ ، مرجع سابق ، ص 61 ومابعدا .
- 18- د. الشفيق محمد المكي ، مرجع سابق ، ص . ص 28 ، 29 .
- 19- المرجع السابق ، ص . ص 30 ، 31 .
- 20- يشير الشرق الأوسط الكبير وفقا لهذا المشروع إلى بلدان العالم العربي بالإضافة إلى باكستان وأفغانستان وإيران وتركيا وإسرائيل .
- 21- راجع نص وثيقة مشروع الشرق الأوسط الكبير في: حسن سيد سليمان وآخرون الشرق الأوسط الكبير ، مركز دراسات الشرق الأوسط وإفريقية ، الخرطوم 2004 ، ص 185 .
- 22- د. حسن حاج علي ، مبادرة الشرق الأوسط الكبير ، الدوافع والتطور والآلات ، في: حسن سيد سليمان وآخرون ، مرجع سابق ، ص 35 .
- 23- نص وثيقة مشروع الشرق الأوسط الكبير ، مرجع سابق ، ص 191 .
- 24- د. عبدالمطلب عبدالحميد ، السوق العربية المشتركة في مواجهة السوق الشرق أوسطية ، ( القاهرة : مكتبة زهراء الشرق ، د. ت ) ، ص 9 .
- 25- P.Clauson and H.Rosen , The economic consequences For Peace , for Israel , The Palestinians and Jordon , Washington , 1991 , P3.
- 26- د. عبدالمطلب عبدالحميد ، مرجع سابق ، ص 15 .
- 27- د. غسان سلامة، أفكار أولية عن الشرق أوسطية الجديدة والوطن العربي، مرجع سابق ، ص 52 .
- 28- د. مدحت حسنين ، العمل الاقتصادي العربي المشترك هل بعث من جديد ؟ أوراق الشرق الأوسط " ( القاهرة : العدد 11 ، ابريل 1994 ) ص 61 .
- 29- راجع في ذلك : د. عبدالمطلب عبدالحميد ، مرجع سابق ، ص 16 .
- 30- محمد حسين أبو صالح ، السودان والشرق الأوسط الجديد ، في: حسن سيد سليمان وآخرون ، مرجع سابق ، ص 152 .
- 31- د. عبدالممنع المشاط ، قمة الدار البيضاء الاقتصادية ، " السياسة الدولية " العدد 119 ، 1995 ، ص 37 .
- 32- د. عبدالمطلب عبدالحميد ، مرجع سابق، ص 158
- 33- المرجع السابق ، ص 159 .

- 34- الشاذلي العياري ، آفاق التكامل في البحر الأبيض المتوسط : الخيار الأوربي ، في : د. محمد محمود الإمام ( محرر) ، الوطن العربي ومشروعات التكامل البديلة ، أعمال المؤتمر العلمي الثالث للجمعية العربية للبحوث الاقتصادية ، مركز دراسات الوحدة العربية، 1997 ، ص 575.
- 35- المرجع السابق، ص 578
- 36- انظر المرجع السابق ، ص 580
- 37- انظر المرجع السابق ، ص 581 ، 582 .
- 38- د. ناظم عبدالوهاب جاسور ، جامعة الدول العربية ومستقبل العلاقات العربية - الأوربية ، مجلة شئون عربية ، ( العدد 99 ، سبتمبر 1999 ) ، ص 16 .
- 39- وجيه كوثراني ، العالم العربي بين الشرق أوسطية والشراكة المتوسطية ، " الكلمة " (بيروت : العدد 12 ، 1996) ، ص 143 .
- 40- د.محمود عبدالفضيل ، مصر والعرب و الخيار المتوسطي : الفرص والمحاذير، " السياسة الدولية" ، ( القاهرة : العدد 124 ، ابريل 1996 ) ، ص 122.
- 41- عبدالفتاح الرشدان ، العرب والجماعة الأوربية في عالم متغير ، ( ابوظبي : مركز الإمارات للدراسات الاستراتيجية، 1998) ، ص 67 .
- 42- الشاذلي العياري ، مرجع سابق ، ص 589
- 43- المرجع السابق ، ص 584
- 44- عبدالفتاح الرشدان ، مرجع سابق ، ص 69 .
- 45- التقرير الاستراتيجي العربي ، الاتحاد الأوربي والمتوسط .. مبادرات جديدة ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، الاهرام .P.5/ahram.org.eg./ahram.P.5
- 46- المرجع السابق ، ص 6.
- 47- المرجع السابق ، ص 5 .